

السيرة وفساد العالنية والسريرة شرار الخلق وهذا كثير جداً
فعلمت أنهما مواهب وحرمان من الله تعالى

﴿فصل في الاخلاق والسير﴾

إحرص على ان توصف بإسلامة الجانب وتحفظ من أن
توصف بالدهاء فيكثر المتحفظون منك حتى ربما أضر ذلك بك
وربما قتلك

وطن نفسك على ما تذكره يقل همك اذا أتاك ولم
ستضر بتوطينك، أولاً ويعظم سرورك ويتضاعف اذا أتاك
ما تحب مما لم تكن قد رتته

اذا تكاثرت الهموم سقطت كلها

الغادر يفي للمجدود والوفي يغدر بالمحدود والسعيد كل
السعيد في دنياه من لم يضطره الزمان الى اختبار الاخوان
لا تفكر فيمن يؤذيك فانك ان كنت مقبلاً فهو هالك
وسعدك يكفيك وان كنت مدبراً فكل أحد يؤذيك

طوبى لمن علم من عيوب نفسه أكثر مما يعلم الناس منها.
الصبر على الجفاء ينقسم ثلاثة أقسام: فصبر عن يقدر
عليك ولا تقدر عليه، وصبر عن تقدر عليه ولا يقدر عليك

وصبر عمن لا تقدر عليه ولا يقدر عليك . فالاول ذل ومهانة
 وليس من الفضائل . والرأي لمن خشي ما هو أشد مما يصبر
 عليه المتاركة والمباعدة . والثاني فضل وبر وهو الحلم على
 الحقيقة وهو الذي يوصف به الفضلاء . والثالث ينقسم
 قسمين إما ان يكون الجفاء ممن لم يقع منه الا على سبيل الغلط
 ويعلم قبح ما أتى به ويندم عليه فالصبر عليه فضل وفرض
 وهو حلم على الحقيقة . وأما من كان لا يدري مقدار نفسه
 ويظن ان لها حقاً يستطيل به فلا يندم على ما سلف منه
 فالصبر عليه ذل للصابر وإفساد للمصبور عليه لانه يزيد استشرافاً
 والمقارضة له سخف والصواب إعلامه بأنه كان ممكناً أن
 ينتصر منه وانه اعما ترك ذلك إسترذالاً له فقط وصيانة عن
 مراجعته ولا يزداد على ذلك . وأما جفاء السفلة فليس جزاؤه
 الا النكال وحده

من جالس الناس لم يعدم همماً يؤلم نفسه وإنما يندم عليه
 في معاده وغيظاً ينضج كبده وذلاً ينكس همته فما الظن بعد
 عن خالطهم وداخلهم . والعز والراحة والسرور والسلامة في
 الافراد عنهم ولكن اجعلهم كالنار تدفأ بها ولا تخالطها

لو لم يكن في مجالسة الناس لإعيان لكفيا أحدهما
 الاسترسال عند الأُنس بالأسرار المهلكة القاتلة التي لولا
 المجالسة لم يبيح بها الباطح والثاني مواجهة الغلبة المهلكة في الآخرة
 فلا سبيل إلى السلامة من هاتين البليتين إلا بالانفراد عن
 المجالسة جملة

لا تحقر شيئاً من عمل غداً أن تحققه بان تعجله اليوم
 وان قل فان من قليل الاعمال يجتمع كثيرها وربما أعجز أمرها
 عند ذلك فيبطل الكل
 لا تحقر شيئاً مما ترجو به تشقيل ميزانك يوم البعث أن
 تعجله الآن وان قل فإنه يحط عنك كثيراً لو اجتمع لقذف
 بك في النار

الوجع والفقر والنسكبة والخوف لا يحسن أذاها إلا من
 كان فيها ولا يعلمه من كان خارجاً عنها وفساد الرأي والعار
 والإثم لا يعلم قبحها إلا من كان خارجاً عنها وليس يراه من
 كان داخلها فيها

الأمن والصحة والغنى لا يعرف حقها إلا من كان خارجاً

عنها وليس يعرف حقها من كان فيها، وجودة الرأي والفضائل
وعمل الآخرة لا يعرف فضلها الا من كان من أهلها ولا
يعرفه من لم يكن من أهلها

أول من يزهد في الغادر من غدر له الغادر، وأول من
يمقت شاهد الزور من شهده له به، وأول من تهون الزانية في
عينه الذي يزني بها

مارأينا شيئا فسد فعاد الى صحته إلا بعد لأي^(١) فكيف
بدماع يتوالى عليه فساد السكر كل ليلة وإن عقلازين لصاحبه
تعجيل إفساده كل ليلة لعقل ينبغي أن يتهم
الطريق تبهرم والزوايا تكرم وكثرة المال ترغب وقلته تقنع
قد نحس الماقل بتدبيره ولا يجوز أن يسعد الاحق

بتدبيره

لا شيء أضر على السلطان من كثرة المتفرغين حو اليه فالخازم
يشغلهم بما لا يظلمهم فيه فان لم يفعل شغلوه بما يظلمونه
فيه، وأما مقرب أعدائه فذلك قاتل نفسه

كثرة وقوع العين على الشخص يسهل أمره ويهونه

(١) الأبي كالمسي الإبطاء والاحتباس والشدة اه قاموس

التهويل بلزوم تزي ما والا كفهرار وقلة الانبساط
ستائر جعلها الجهال الذين مكنتهم الدنيا أمام جهلهم . لا يفتتر
العاقل بصداقة حادثة له أيام دولته فكل أحد صديقه يومئذ
إجهد في ان تستعين في أمورك بمن يريد منها لنفسه
مثل ما تريد لنفسك ولا تستعن فيها بمن حظته من غيرك
كحظه منك

لا تجب عن كلام نقل اليك عن قائل حتى توقن أنه قاله
فان من نقل اليك كذباً رجع من عندك بحق
ثق بالمتدين وان كان على غير دينك ولا تثق بالمستخف
وان أظهر انه على دينك
من استخف بجرمات الله تعالى فلا تأمنه على شيء مما
تُشفق عليه

وجدت المشاركين بأرواحهم أكثر من المشاركين
بأموالهم . هذا شيء طال اختباري إياه ولم أجد قط على طول
التجربة سواه فأعيتني معرفة العلة في ذلك حتى قدرت انها
طبيعة في البشر

من قبيح الظلم الإنكار على من أكثر الاساءة اذا

أحسن في الندره

من استراح من عدو واحد حدث له أعداء كثيرة
 أشبه ما رأيت بالدنيا خيال الظل وهي تماثيل مركبة على
 مطحنة خشب تدار بسرعة فتغيب طائفة وتبدو أخرى
 طال تعجبي في الموت وذلك أني صحبت أقواما صحبة
 الروح للجسد من صدق المودة فلما ماتوا رأيت بعضهم في
 النوم ولم أر بعضهم وقد كنت عاهدت بعضهم في الحياة على
 التزاور في المنام بعد الموت إن أمكن ذلك فلم أره في النوم
 بعد ان تقدمتني الى دار الآخرة فلا أدري أنسي أم شغل
 غفلة النفس ونسيانها ما كانت فيه في دار الابتلاء قبل
 حلولها في الجسد كغفلة من وقع في طين غمر عن كل ما عهد
 وعرف قبل ذلك ثم أطلت الفكر أيضا في ذلك فلاح لي
 شعب زائد من البيان وهو أني رأيت النائم اذ همت نفسه
 بالتخلي من جسده وقوي حسها حتى تشاهد الغيوب قد
 نسيت ما كان فيه قبيل نومها نسيانا تاما البتة على قرب عهدها
 به وحدث لها أحوال اخر وهي في كل ذلك ذاكرة حساسة
 متلذذة آلة ولذة النوم محسوسة في حاله لان النائم يلتذ ويحتمل

ويخاف ويحزن في حال نومه

انما تأنس النفس بالنفس فأما الجسد فمستثقل مهروم
به ودليل ذلك استعجال المرء بدفن جسد حبيبه اذا فارقت
نفسه وأسفه لذهاب النفس وان كانت الجثة حاضرة بين
يديه

لم أر لابل يس أصيد ولا أقبح ولا أحمق من كلمتين
ألقاهما على السنة دعائه (احداهما) اعتذار من أساء بأن فلانا
أساء قباه (والثانية) استسهال الانسان أن يسيء اليوم لأنه
قد أساء أمس أو أن يسيء في وجهه ما لانه قد أساء في غيره
فقد صارت هاتان الكلمتان عنراً مسهلتين للشر ومدخاتين
له في حد ما يعرف ويحمل ولا ينكر

استعمل سوء الظن حيث تقدر على توفيقه حقه في
التحفظ والتأهب واستعمل حسن الظن حيث لا طاقة بك
على التحفظ فترجح راحة النفس

حد الجود وغايته أن تبذل الفضل كله في وجوه البر
وأفضل ذلك في الجار المحتاج وذو الرحم الفقير وذو النعمة
الذاهبة والأحضر فاقة. ومنع الفضل من هذه الوجوه داخل

في البخل وعلى قدر التقصير والتوسع في ذلك يكون المدح والذم وما وضع في غير هذه الوجوه فهو تبذير وهو مذموم وما بذلت من قوتك لمن هو أمس حاجة منك فهو فضل وإيثار وهو خير من الجود وما منع من هذا فهو لا حمد ولا ذم وهو انتصاف

بذل الواجبات فرض وبذل ما فضل عن القوت جود والإيثار على النفس من القوت بما لا تهلك على عدمه فضل ومنع الواجبات حرام . ومنع ما فضل عن القوت بخل وشح والمنع من الإيثار ببعض القوت عذر ومنع النفس أو الأهل القوت أو بعضه تن ورذالة ومعصية والسخاء بما ظلمت فيه أو أخذته بغير حقه ظلم مكرر والذم جزاء ذلك لا الحمد لانك انما تبذل مال غيرك على الحقيقة لا مالك . واعطاء الناس حقوقهم مما عندك ليس جوداً ولكنه حق

حمد الشجاعة بدل النفس للموت عن الدين والحريم وعن الجار المضطهد وعن المستجير المظلوم وعن الهضيمة ظلماً في المال والعرض وفي سائر سبل الحق سواء قل من يمارض أو أكثر والتقصير عما ذكرنا جبن وخور وبذلها في

عرض الدنيا هو ر و ح م ق . وأحمق من ذلك من بذلها في المنع
 عن الحقوق الواجبات قبلك أو قبل غيرك وأحمق من هؤلاء
 كلهم قوم شاهدهم لا يدرون فيما يبذلون أنفسهم فتارة
 يقاتلون زيدا عن عمرو وتارة يقاتلون عمرا عن زيد ولعل ذلك
 يكون في يوم واحد فيتمرضون للمهلك بلا معنى فينقلبون
 الى النار أو يفرون الى العار وقد أئذر بهؤلاء رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في قوله « يأتي على الناس زمان لا يدري
 القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل »

حدد النفقة أن تغض بصرك وجميع جوارحك عن
 الاجسام التي لا تحمل لك فما عدا هذا فهو غير . وما نقص
 حتى يمسك عما أحل الله تعالى فهو ضعف وعجز
 حدد العدل أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه . وحد
 الجور أن تأخذه ولا تعطيه . وحد الكرم أن تعطي من نفسك
 الحق طائعا وتتجافى عن حقك لغيرك قادرا وهو فضل أيضا
 وكل جود كرم وفضل وليس كل كرم وفضل جودا فالفضل
 أعم والجود أخص اذ الحلم فضل وليس جودا والفضل فرض
 زدت عليه نافلة

إهمال ساعة يفسد رياضة سنة

خطأ الواحد في تدبير الأمور خير من صواب الجماعة
التي لا يجمعها واحد لان خطأ الواحد في ذلك يستدرك
وصواب الجماعة يضري على استدامة الاهمال وفي ذلك
المهلك

نوار الفتنة لا يعقد

كانت في عيوب فلم أزل بالرياضة واطلاعي على ما قالت
الأنبياء صلوات الله عليهم والأفاضل من الحكماء
المتأخرين والمتقدمين في الاخلاق وفي آداب النفس أعاني
مداواتها حتى أعان الله عز وجل على أكثر ذلك بتوفيقه
ومنه وتمام العدل ورياضة النفس والتصرف بأزمة الحقائق
هو الاقرار بها ليتعظ بذلك متعظ يوما ان شاء الله . فنهيا
كلف في الرضاء وافراط في الغضب فلم أزل أداوي ذلك
حتى وقفت عند ترك اظهار الغضب جملة بالكلام
والفعل والتخبط وامتنعت مما لا يحل من الانتصار وتحملت
من ذلك تفسلا شديداً وصبرت على مريض مؤلم كان
ربما أمرضني وأعجزني ذلك في الرضى وكأني ساحت

نفسى فى ذلك لانها تثبت أن ترك ذلك لؤم (ومنها) دُعابة
غالبه فالذى قدرت عليه فيها إمساكي عما يغضب الممازح
وساحت نفسى فيها اذ رأيت تركها من الانغلاق
ومضاهايا للكبر (ومنها) عجب شديد فناظر عقلي نفسى بما
يعرفه من عيوبها حتى ذهب كله ولم يبق له والحمد لله أثر بل
كلفت نفسى احتقار قدرها جملة واستعمال التواضع (ومنها)
حركات كانت تولدها غرارة العصبيا وضعف الاغضاء
فقصرت نفسى على تركها فذهبت (ومنها) محبة فى بُعد
الصيت والغلبة فالذى وقفت عليه من معاناة هذا الداء
الإمساك فيه عما لا يحل فى الديانة والله المستعان على الباقي
مع أن ظهور النفس الغضبية اذا كانت منقادة للناطقة فضل
وخلق محمود (ومنها) إفراط فى الانفة بغضت الي إنكاح
الحُرْم جملة بكل وجه وصعبت ذلك فى طبيعتي وكأني توقفت
عن مغالبة هذا الافراط الذى أعرف قبجه لعوارض
اعترضت عليّ والله المستعان (ومنها) عيبان قد سترهما الله
تمالى وأعان على مقاومتهما وأعان باطفئه عليهما فذهب
أحدهما البتة والله الحمد وكان السعادة كانت موكلة بي فاذا
(٣ - الاخلاق)

لاح منه طالع قصدت طمسه وطاواني الثاني منهما فكان
 اذا ثارت منه مدوده^(١) نبضت عروقه فيكاد يظهر ثم يسر الله
 تعالى قدعه^(٢) بضروب من لطفه تعالى حتى أخذ (ومنها)
 حقد مفرط قدرت بعون الله تعالى على طيه وستره وغلبته
 على اظهار جميع نتائجه وأما قطعه البتة فلم أقدر عليه وأعجزني
 معه أن أصادق من عاداني عداوة صحيحة أبداً

وأما سوء الظن فيعدته قوم عيباً على الاطلاق وليس
 كذلك الا اذا أدى صاحبه الى ما لا يحل في الديانة أو الى
 ما يقبح في المعاملة والا فهو حزم والحزم فضيلة

وأما الذي يعينني به جهال أعدائي من اني لا أبالي فيما
 أعتقده حقاً عن مخالفة من خالفته ولو أنهم جميع من على ظهر
 الارض وأنني لا أبالي موافقة أهل بلادي في كثير من زيمهم
 الذي قد تعودوه لغير معنى فهذه الخصلة عندي من أكبر
 فضائل التي لا مثيل لها ولعمري لو لم تكن في (وأعوذ بالله)

(١) جمع مد وهو في الاصل كثرة الماء أيام الزيادة واستعماله
 المصنف مجازاً عن تهيج العيب وقوله نبضت أي تحركت (٢) أي كفه

لكنت من أعظم متمنياتي وطلباتي عند خالقي عز وجل وأنا
 أوصي بذلك كل من يباغته كلامي فان ينفه أتباعه الناس في
 الباطل والفضول اذا أسخط ربه تعالى وغبن عقله أو آلم نفسه
 وجسده وتكاف مؤونة لا فائدة فيها. وقد عابني أيضا بعض
 من غاب عن معرفة الحقائق أنني لا آلم لنيل من نال مني
 واني أتعدى ذلك من نفسي الى اخواني فلا أمتعض لهم اذا
 نيل منهم بحضرتي وأنا أقول ان من وصفني بذلك فقد أجل
 الكلام ولم يفسره والكلام اذا أجل اندرج فيه تحسين
 القبيح وتقبيح الحسن ألا ترى لو أن قائلاً قال ان فلانا
 يظاً أخته لفحش ذلك ولاستقبحه كل سامع له حتى اذا
 فسّر فقال هي أخته في الاسلام ظهر فحش هذا الاجمال
 وقبحه. وأما أنا فاني ان قلت لا آلم لنيل من نال مني لم أصدق
 فالألم في ذلك مطبوع مجبول في البشر كلهم لكني قد فصرت
 نفسي نلى أن لا أظهر لذلك غضبا ولا تخبطاً ولا تهيجاً فإن
 يسر لي الامسالك عن المقارضة جمة بأن أتأهب لذلك فهو
 الذي أعتمد عليه بحول الله تعالى وقوته وإن بادرني الامر لم
 أقارض الا بكلام مؤلم غير فاحش أتحري فيه الصدق ولا

أخرجه مخرج الغضب ولا الجهل وبالجملة فاني كاره لهذا إلا
 الضرورة داعية اليه مما أرجو به فتح المستشري في النيل مني
 أو قذع الناقل الي إذا أكثر الناس مجنوناً لا يسمع المكره من
 يُسمونه اياه على السنة غيرهم ولا شيء أقدم لهم من هذا الوجه
 فانهم يكفون به عن تعلمهم المسكاره على السنة الناس الى الناس
 وهذا شيء لا يفيد إلا إفساد الضمائر وادخال المئات فقط . ثم
 بعد هذا فان النائل مني لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما
 إما أن يكون كاذباً وإما أن يكون صادقاً فان كان كاذباً فلقد
 عجل الله لي الانتصار منه على لسان نفسه بأن حصل في جملة
 أهل الكذب وبأن نبه على فضلي بأن نسب الي ما أنا منه
 بريء المرض وما يعلم أكثر السامعين له كذبه إما في وقته
 ذلك وإما بعد بحثهم عما قال وان كان صادقاً فانه لا يخلو من
 أحد ثلاثة أوجه إما أن أكون شاركته في أمر استرحت
 اليه استراحة المرء الي من يقدر فيه ثقة وأمانة فهذا أسوأ
 الناس حالة وكفى به سقوطاً وضعة . وإما أن يكون عابني بما
 يظن أنه عيب وليس عيباً فقد كفاني جهله شأنه وهو المريب
 لا من عاب . وإما أن يكون عابني بعيب هو في على الحقيقة

وعلم مني نقصاً أطلق به لسانه فان كان صادقاً فنفسى أحق بأن ألوم منه وأنا حينئذ أجدر بالغضب على نفسى منى على من عابني بالحق. وأما أمر اخواني فاني لست أمسك عن الامتناع لهم لكنى أمتعض بامتياز رقيقاً لا أزيد فيه على أن أندم القائل منهم بحضرتي وأجعله يتدبم ويمتذر ويحجل ويتصل وذلك بأن أسلك به طريق ذم من نال من الناس وأن نظر المرء في أمر نفسه والهم باصلاحها أولى به من تتبع عثرات الناس وبأن أذكر فضل صديقي فأبكته على اقتصاره على ذكر العيب دون ذكر الفضيلة وأن أقول له انه لا يرضى بذلك فيك فهو أولى بالكرم منك فلا ترض لنفسك بهذا أو نحو هذا من القول. وأما أن أهارش القائل فأحبيه وأهيج طباعه وأستثير غضبه فينبعث منه في صديقي أضعاف مما أكره فأنا الجاني حينئذ على صديقي والمرضى له بقبح السب وتكراره فيه وإسماعه من لم يسمعه والاعتراف به وربما كنت أيضاً في ذلك جانياً على نفسي مما لا ينبغي لصديقي أن يرضاه لي من إسماعي الجفاء والمكروه وأنا لا أريد من صديقي أن يذبت عني بأكثر من الوجه الذي

حدثت فان تعدي ذلك الى أن يساب النائل مني حتى
 يولد بذلك أن يتضاعف النيل وأن يتعدى أيضاً اليه
 بقبيح المواجهة وربما الى أبوي وأبويه على قدر سفة النائل
 ومنزلته من البذاءة وربما كانت منازعة بالأيدي فانا
 مستنقص لفعله في ذلك زار عليه متظلم منه غير شاكر له
 لكنني ألومه على ذلك أشد اللوم وبالله تعالى التوفيق . وذمني
 أيضاً بعض من تعسف الأمور دون تحقيق بأني أضيع مالي
 وهذه جملة بيانها أني لا أضيع منه إلا ما كان في حفظه
 نقص ديني أو اخلاق عرضي أو آتاعاب نفسي فاني أرى الذي
 أحفظ من هذه الثلاثة وان قلّ أجلّ في العوض مما يضيع من
 مالي ولو أنه كل ما ذرت عليه الشمس . ووجدت أفضل نعم
 الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبّه وعلى الحق
 وإثاره فما استعنت على قمع هذه الطوائع الفاسدة وعلى
 كل خير في الدين والدنيا إلا بما في قوتي من ذلك ولا حول
 ولا قوة إلا بالله تعالى . وأما من طبع على الجور واستسهاله
 وعلى الظلم واستخفافه فليئس من أن يصاح نفسه أو يقوّم
 طباعه أبداً وليعلم أنه لا يفاح في دين ولا في خلق محمود . وأما

الزهو والحسد والكذب والخيانة فلم أعرفها بطبعي قط
وكأنتي لا حمد لي في تركها لمنافرة جباتي إياها والحمد لله رب
العالمين

من عيب حب الذكر أنه يحبط الاعمال اذا أحب عامليها
أن يذكر بها فكاد يكون شريكاً لأنه يعمل لغير الله تعالى
وهو يطمس الفضائل لأن صاحبه لا يكاد يفعل الخير حياءً
للخير لكن ليذكر به

أبلغ في ذمك من مدحك بما ليس فيك لأنه نبه على
نقصك . وأبلغ في مدحك من ذمك بما ليس فيك لأنه نبه
على فضلك ولقد انتصر لك من نفسه بذلك وباستهدافه الى
الانكار واللائمة

لو علم الناقص نقصه لكان كاملاً . لا يخلو مخلوق من
عيب فالسعيد من قلت عيوبه ودقت . أكثر ما يكون مالم
يُظن فالحزم هو التأهب لما يُظن فسبجان من رتب ذلك
ليُري الانسان عجزه وافتقاره الى خالقه عزوجل

﴿ فصل في الاخوان والصدائة والنصبة ﴾

إستبقاتك من عاتبك . وزهد فيك من استهان